النَّحْوُ التَّعْليميُّ منْ خلاَل مَتْن الآجُرُوميَّة
(دراسة في الجملة الفعليّة)

أ. فاتح مرزوق*

مُقَدَّمَة: إنّ الحديث عن المنظومات النّحويّة في الدّرس النّحويّ؛ إنّما هو الحديث عن تيسير تعليم قواعد اللّغة العربيّة في حدّ ذاته، ليلحق من ليس من أهل العربيّة بأهلها، أضف إلى تبسيط قواعد النّحو للنّاشئة. ولقد شاعت المتون النّحويّة بنوعيها المنثورة والمنظومة منذ استوى النّحو على أشدّه؛ حيث كثرت الشّروح وتنوعت التآليف، مما استدعت الحاجة لتسهيل هذا العلم، فظهر ما يسمّى بالمنظومات النحوية، التي ذاع صيتها، ورُفع مقامها، وتلألأ فهمها وتبسيطها للناشئة في المشرق العربيّ، ولم يكن هذا التأليف بدعا على المشرق فحسب؛ بل اعترى المغرب العربي على أيد جهابذة اللّغة للحفاظ على العربيّة وقواعدها وطرق نظمها فَهَمَّت طائفةٌ من العلماء المغاربة لتأسيس منهجٍ علميٍّ تعليميٍّ يميّزُهم عن المنهج المشرقيّ، فكان من هؤلاء العلماء النحارير العالم المغاربي ابن آجروم الصنهاجيّ من خلال متنه المقدمة، هذا المتن الّذي سعى مؤلّفه تبسيط وتيسير منهج تعليم النحو؛ بل فعل ما لم يفعله النّحاة ممن سبقوه في المدرسة المشرقية؛ حيث عمل من خلال مؤلفه لتبسيط قواعد النّحو وإيصالها دون الولوج في الخلافات والتّعقيدات والاعتراضات المعروفة في الدّرس النّحويّ؛ مما جعلها مقرّرة في الكتاتيب والزوايا وحتّى المعاهد، كون هذا المتن حوى منهجيّة تعليميّة راعى فيها مؤلِّفها عقليّة المتعلّم لقواعد اللغة العربيّة؛ فكانت بحقيق بوابة المنهج التّيسيري لتعليم النّحو من هذا المنطلق نروم الإجابة عن الإشكالية الآتية: **ما**

* جامعة مولود معمري، تيزي–وزّو

المنهجيّة المعتمدة في متن الآجرومية؟ هل تعدّ منهجيّة تيسيريّة لتعليم وتعلّم النّحو؟

1. مفهوم النّحو: سأقتصر على التّعريف الاصطلاحيّ دون الولوج في التّعريف اللّغويّ؛ لأنّه بائن بينونة بيّنة، ومن العلماء الّذين بيّنوا مفهوم النّحو ابن السّراج المتوفّى(316هـ) حيث يقول:" أن ينحوَ المتكلّم إذا تعلّم كلّام العرب وهو علم استخرجه المتقدّمون، فيه من استقراء كلّام العرب؛ حتّى وقفوا منه على الغرض الّذي قصده المبتدئون بهذه اللّغة فباستقراء كلّام العرب؛ فاعلم أنّ الفاعل رفع، والمفعول نصب وأنّ فعلا ممّا عينه ياء أو واو تقلب عينه من قولهم قام وباع"[1]. يظهر من قول ابن السّراج أنّ النّحو عبارة عن طريقة معياريّة يُتّبع فيها المتكلّم سُنّة الأولين في كلّامهم دون الانحراف عنها، أضف إلى أنّها تعليميّة في بادئ الأمر، وذلك عند قوله: فاعلم أنّ الفاعل رفع..." وهذا دليل على أنّ وضع النّحو سببه الرّئيس تعليم النّاشئة وليلحق من ليس من أهل العربيّة بأهلها، وهو الرّأي الّذي سلكه ابن جني المتوفّى(392هـ) إذ يقول في تعريف النّحو: "انتحاء سمت كلّام العرب في تصرّفه من إعراب وغيره كالتّثنية والجمع والتّحقير والتّكثير والإضافة والنّسب والتّركيب وغيره"[2] إنّ البيّن من قول ابن جنّي أنّ معرفة النّحو بغيتها الأساس تعلّم سبيل العرب في كلّامها واتباع نهجها في طريقة التّركيب وهنا–والله أعلم– قصد غير العرب، ومن الأعراب التي لا ترتضى عربيّتهم؛ فكان عليه لزاماً أن يتعلّم قواعد العربيّة حتّى يدرك هذه اللّغة. هذا من حيث الغرضُ الوضعيّ لهذا العلم، أمّا من حيث التّفصيلُ والتّقسيم فإنّ ابن جني جعل النّحو قسما للصّرف وليس قسيما له.

غير أنّ من العلماء من أثبت هذه القاعدةَ، وهي احترام قواعد العرب في كلّامها وعدم الزّيغ عنها، وهنا تظهر العقليّة العربيّة في وضع هذا العلم؛ وهذا من خلال تعريف الشريف الجرجاني بقوله:"علم بقوانين يعرف بها أحوال التّراكيب

العربيّة من الإعراب والبناء وغيرهما، وقيل النّحو: علم يعرف به أحوال الكلّم من حيث الإعلال؛ وقيل: علم بأصول يعرف بها صحّة الكلّام وفساده"[3]. وهذا تعريف آخر يدلّنا على أنّ بادرة علم النّحو في وضعه هو صون الكلّام العربيّ من شائبة اللّحن والفساد الّذي لم تعهده العرب في كلّامها الفصيح.

2. تعريف المتون العلميّة:

1.2. لغة: قال ابن فارس: "الميم والتّاء والنّون، أصل صحيح واحد يدلّ على صلابة في الشّيء مع امتداد وطول"[4].

وورد بمعانٍ أخرى منها: ويطلق المتن في اللّغة على عدة معانٍ منها:

- الحلف، يقال: متن لي بالله أي حلف؛
- النّكاح؛
- الضّرب بالسّوط في أيّ موضع كان؛
- الذّهاب في الأرض؛
- المدّ، وقد متنه متناً إذا مدّه؛
- ما صلب من الأرض وارتفع واستوى كالمتنة؛
- الرّجل الصّلب القويّ؛
- اللّفظ وإلى غير ذلك من المعاني.

2.2. **اصطلاحاً:** جرى إطلاقه عند أهل العلم على مبادئ فمن الفنون تكثف في رسائل صغيرة غالباً وهي تخلو في العادّة من كلّ ما يؤدّي إلى الاستطراد أو التّفصيل كالشّواهد والأمثلة إلا في حدود الضّرورة وذلك لضيق المقام عن استيعاب هذا ونحوه؛ لذلك عدّت المتون أقلّ ألفاظاً الأحسن في ذاتها والأكثر قَبولاً عند الدّارسين.

وعرّف صاحب "قصد السّبيل" بأنّه: الكتاب الأصليّ الذي يكتب فيه أصول المسائل، ويقابله الشّرح مولد لم يرد عن العرب، وإنّما هو مما نقله العرف تشبيهاً له بظاهر الظّهر الّذي هو معنى المتن الأصليّ في القوّة والاعتماد عليه"[5].

3.أقسام المتون العلميّة: تنقسم المتون العلميّة إلى قسمين رئيسين هما: المنثورة والمنظومة:

1.3. **المتون المنظومة:** وهي متون تخضع للوزن والقافية وهي مأخوذة من النّظم بمعنى موزون ومقفّى وهي تُنْظَم على بحر الرّجز، والّذي تفعيلاته (مستفعلن مستفعلن مستفعلن) وهو من البحور الصّافية التي تعتمد على تفعيلة واحدة، ويسمّى هذا النّوع من الشّعر: بالشّعر التّعليميّ؛ أي: ينظم بغية تعليم النّاشئة أساسيّات أبواب اللّغة أو أيّ علم آخر.

2.3. **المتون المنثورة:** هي تلك المتون الّتي تكتب على شكلّ نثر؛ أي غير خاضعة لأيّ وزن أو قافية، ونذكر منها: متن الآجروميّة للشيخ ابن الآجروم الصّنهاجيّ، متن (شذور الذّهب في معرفة كلّام العرب) لابن هشام الأنصاريّ.

وتجدر الإشارة إلى أنّ أوّل متن في النّحو كان على يد خلف الأحمر(180هـ) من خلال مقدّمته المسمّاة بـ (مقدمة في النّحو)، ثمّ يأتي من بعد ذلك علماء أخر ألّفوا في المتن المنثور من بينهم: أبي عمر صالح بن إسحاق الجرمي(225هـ) في متن مختصر سمّاه: (المقدمة)، ومن بعد ذلك تأتي مختصرات أخرى في النّحو العربيّ منها: (المختصر في النّحو) لأبي الحسن محمد بن أحمد بن كيسان (320هـ)، وهو مؤلَّف قصد به صاحبه تيسير أبواب النّحو واختصارها؛ أي أنّ هذه المختصرات بغيتها الأساس تقديم منهج تيسيريّ لتعليم النّحو ليس غير.

ومن المتون المنثورة التّي اُشْتُهرَت في التّأليف النّحويّ بعد التّأليف المشرقيّ متن (المقدّمة الآجروميّة) لمؤلّفها أبي عبد الله محمد بن داود الصّنهاجيّ المعروف بـ (ابن آجروم) المتوفى (723هـ) وهي مقدّمة جليلة في النّحو العربيّ بعامّة والنّحو المغاربيّ خاصّة؛ حيث استطاع مؤلّفها أن يبسط فيها قواعد النَّحو للنّاشئة لتعلّم هذا العلم، وبحقيق قد كانت كذلك.

4.**النّحو التّعليميّ بين التّيسير والتّغيير:** يقصد بالنّحو التّعليميّ: الطرق والمنهجيّة لتعليم قواعد اللّغة العربيّة بأسلوب مختصر، دون تعقيد؛ بل ويقدم بمنهجيّة تعليميّة تتناسب وعقل المتعلّم، والنّحو التعليميّ ليس وليد اليوم، لكنّه كان مع بدايات تعليم النّحو، وقد ظهر شرح المختصرات النّحويّة والمتون العلميّة؛ بداءة مع خلف الأحمر في كتابه (مقدمة النّحو)، والذي نهج فيه المنهجيّة المختصرة؛ حيث ألفى في كتب الذين سبقوه التطويل وكثرة الشرح؛ حيث يقول:" لما رأيت النحو بين أصحاب العربيّة أجمعين قد استعملوا التّطويل، وكثرة العلل، وأغفلوا ما يحتاج إليه المتبلغ في النّحو من المختصر والطرق العربيّة، والمأخذ الذي يخف على المبتدئ حفظه، ويعمل في عقله ويحيط به فهم؛ فأمعنت النّظر والفكر في كتاب أؤلف وأجمع فيه الأصول والأدوات والعوامل على أصول المبتدئين؛ ليستغني به المتعلم عن التطويل، فعملت هذه الأوراق ولم أدع فيها أصلا ولا أداة ولا حجّة ولا دلالة أمليتها فيها، فمن قرأها وحفظها علم أصول النّحو كلّه مما يصلح لسانه في كتاب يكتبه أو شعر ينشده"[6]، الظاهر من قول خلف الأحمر أنّه ألف كتابه على التيسير المنهجيّ مع بناء قواعد نحوية يسيرة يراعي فيها ذهنية المتعلم والمبتدئ في النّحو، فكتابه كتاب تعليميّ يسعى من خلاله تقريب الأصول من علم النّحو، وليس على سبيل التّخصص والغور في جزئيات علم النّحو، أضف إلى أنه أشار إلى أمر أساس وهو الهدف من تعليم النّحو الكتابة أو إنشاد شعر فالعبرة من التعلم أن أكون قادرا على الكتابة.

وحقيق بنا أن ننوّه إلى أنّ خلف الأحمر أشار إلى أسس ومقاييس النّحو التّعليميّ وهي:

- الاستغناء على التّطويل في الشّروح؛
- عدم اللّجوء إلى كثرة التّعليل؛
- الاعتماد على الاختصار والاقتصار في طرح الأبواب والمسائل النّحويّة؛ مما يسهّل عمليّة الحفظ، وقوة الفهم.

كما يذكر الجاحظ أهمية الاختصار والتّيسير في تعليم القواعد اللغويّة؛ حتى يساعد المتعلّم على الاستزادة في طلب العلم؛ حيث يقول: "لا تشغل قلبه إلاّ بقدر ما يؤدي به على السّلامة من فاحش اللّحن، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتب، وشعر إن نشد، وشيء إن وصف، وما زاد على ذلك؛ فهو مشغلة عمّا هو أولى به، ومذهل عمّا هو أراد عليه منه من رواية المثل والشاهد والخبر الصادق والتّعبير البارع"[7].

ويعدّ ابن خلدون من العلماء الذين نبّهوا لمسألة التّعليم وكيفية إفادته، والطّرق الناجعة للوصول إليه؛ فقد أشار عدّة مرات إلى الاختصار في التأليف؛ والغرض في ذلك مراعاة قدرة المتعلّم قدرة في التّحصيل؛ حيث يقول: "اعلم أنّه مما أضرّ بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التآليف واختلاف الاصطلاحات... ولو اقتصر المعلمون بالمتعلّمين على المسائل المذهبيّة فقط لكان الأمر بدون ذلك بكثير وكان التّعليم سهلا ومأخذه قريبا، ولكنه دائر لا يرتفع لاستقرار العوائد عليه فصارت كالطبيعة التي لا يمكن نقلها ولا تحويلها"[8]

4.**المدرسة الآجروميّة في النّحو المغاربيّ:** قد يسأل السّائل: لما قلنا: إنّ ابن الآجروم مدرسة في النحو العربيّ؟ مما لا ريب فيه ولا شكّ أنّ ابن آجروم من النّحاة المشهورين في المغرب العربيّ؛ بل هو أوّلها؛ كونه أرسى قواعد وأصول النّحو المالكيّ؛ لأنّ الآجروميّ ولد في الوقت الذي توفي فيه ابن مالك رحمة الله عليه؛ والمعروف أنّ ابن مالك أحد الأعمدة في النّحو؛ إذ يعرف بألفية جليلة وهي (ألفية ابن مالك) هذه المنظومة التي ذكر فيها صاحبها الخلافات النّحوية والتّعليلات التي سبقت المدارس الأخرى. لكن متن الآجرومية متن يسير وبسيط سعى صاحبه إلى اتباع منهج تيسيري للنّحو العربيّ؛ بغية تعليمه للناشئة.

وحقيق بنا أن نشير إلى أنّ الفرق القائم بين النّحو المغاربي والمشرقي؛ أنّ التّأليف في النّحو العربيّ يتخلله التّعقيد وذكر الخلافات، وكأنّ بالعلماء في تلكم

المرحلة كان همّهم التّأليف والتّصارع في ذكر الخلافات القائمة بين النّحاة من كلّتي المدرستين، مما صعب تعلم النحو؛ والدليل على ذلك كثرة الشروحات وذكر الحواشي والتعليقات في هذه المنظومات خلال شرحها.

ويجب ألاّ ننسى أنّ المدرسة المغاربيّة كان لها الدّور الفعّال في إرساء أصول النّحو العربيّ فقد كانت مدرسة عريقة في العلم مثل:

- مدرسة أبي الطاهر المعروف بالخدب؛ حيث تتلمذ منها ابن خروف؛
- مدرسة أبي موسى الجزولي؛
- ابن أبي الربيع السبتي؛
- المكودي؛

غير أنّ مدرسة ابن آجروم كانت ظاهرة بحقيق في النحو؛ ولعل الدليل على ذلك ما لقيته من قبول وكثرة شروحات واعتناء في تدريسها في الزوايا والمحاظر فنجد أنّها تدرس في:

- جامع الأزهر بمصر؛
- جامع الزيتونة بتونس؛
- وفي محاظر موريتانيا؛
- وفي زوايا الجزائر مثل زاوية بالكبير بأدرار – الجزائر.

أضف إلى ذلك كثرة الشروحات التي تناولت المقدمة، بله الأنظام التعليمية:

- شرف الدين يحي بن نور الدين بن موسى بن عميرة العمريطي (الدرة البهية في نظم الآجرومية):

والنّحو أولى أولا أن يعلما إذ الكلّام دونه لن يفهما
وكان خير كتبه الصغيرة كراسة لطيفة شهيـــرة
نظمتها نظما بديعا مقتدي بالأصل في تقريبها للمبتدي

- كما نظمها الميمون بن مساعد المصموديّ مولى عبد الله الفخار بقوله:

والقصد من ذا الرجز المقرب تعليم أولاد صغار المكتب
أيقنت أنّ النظم فيما أدري أشهى وأولى من نفيس النثر

الظّاهر من قول المصمودي أنّ النّظم يسهل عملية التّعليم للصغار، ناهيك أنّ المتن في حدّ ذاته يعتمد على منهج يسير، ومادام أنّ مؤلفه سعى فيه تيسير النحو؛ فإنّ الشرح لا شكّ سيكون ميسرا للمتعلم؛ لذا قال: تعليم أولاد صغار المكتب؛ ولا غرو في ذلك فالمعروف نحن الجزائريين في تعليم النحو في الزوايا؛ إنّما يكون بالمقدمة الآجرومية؛ كونها تعتمد على التيسير النحوي وبساطة ألفاظه وشروحاته.

- ومن الذين نظموا المقدمة الآجرومية العلامة الشيخ عبيد ربه محمد أبه الشنقيطي؛ حيث يقول:

قال عبيد ربه محمـــــد الله في كلّ الأمور أحمد
وبعد فالقصد بذا المنظوم تسهيل منثور ابن آجروم
لمن أراد حفظه وعســـرا عليه أم يحفظ ما قد نثرا

إذاً الغرض نفسه عند الشّارحين والناظمين لهذا المتن هو تسهيل وتيسير المنهج الذي اعتمده ابن الآجروم في متنه، وإن كان يظن في أنّ ابن آجروم كان يعتمد في آرائه على المذهب الكوفي، كونه يستعمل المصطلحات الكوفية في متنه؛ وهذا ما دل به محمد الحسن بن أحمد الخديم اليعقوبي قائلا:

محمد ذو الفضل والعلوم وهو الذي يدعة ابن آجروم
بالضم للجيم ورا مشددة على طريق كوفة شد يده
رتبته فوق السماكين ربت لشهرته قبل رداه أكسبت

وأسهل وأجود الشروحات التي قُدّمت للآجرومية شرح الشيخ سيدنا الكبير المسمى بـــ:(النفحة القومية في شرح الأجرومية) فقد كان شرحا ينماز بالسّهولة والبساطة؛ بل من الشروحات الأساس في بلاد الشّناقطة المعروفين بالمتون وتقريض الشعر؛ حيث يجعلون من المتن المنثور نظما؛ مما يسهل طريقة التعليم.

5. **الهيكلّة العلميّة في تبويب المقدّمة الآجرومية:** عمل ابن آجروم في مقدّمته كسابقيه من النّحاة؛ حيث قسّم المتن إلى أبواب، ولا غرو في ذلك فهي سنّة المؤلفين في النحو؛ غير أنّ ابن آجروم اختصر في المتن ولم يذكر الأبواب الصرفيّة، كما فعل ابن هشام في مؤلّفه (قطر الندى وبل الصدى) أو كما فعل جار الله الزمخشري في مؤلّفه (المفصل)؛ بل اكتفى بذكر أبواب النحو لا غير.

وحريّ بنا أن نذكر أنّ ابن آجروم في ذكره لأبواب النّحو لا يتعمق في ذكر القاعدة النّحوية؛ بل يعمل على الاختصار والتّبسط دون ذكر الخلافات النحويّة، أو الكثرة من التعليلات، أو ذكر آراء النحاة في المسائل؛ إنّما يقتصر بذكر القاعدة ببساطتها والمشهور منها، وهو الملحوظ في كلّ الأبواب، بداءةً من باب الكلام إلى آخر باب وهو باب محفوظات الأسماء؛ لأنّ البغية من هذا المتن تقريب قواعد اللغة العربيّة للناشئة والطلاب دون عناء؛ فالنحو في مظنتهم صعب وطويل سلمه، لا يرقى إليه إلاّ حاذق متجذر في كلّام العرب، أضف إلى أنّ الكتب التي سبقت كلّها تعتورها الاعتراضات وكثرة التعليل، وقلّة التيسير فيأتي ابن آجروم فييسر ما صعب فهمه، وأشكلّ تحصيله.

ولكن تجدر الإشارة إلى أنّ الشروحات التي تعدّدت للمقدّمة مختلفة، ولكن الشّرح الذي ذاع صيته واشتهرت طريقته في الشّرح الميسّر هو شرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين في تألفيه (شرح المقدّمة الآجرومية) وهو شرح مختصر ويسير؛ حيث اعتمد فيه الشارح على الطريقة التعليمية؛ أيّ: شرح المتن بالتّمثيل ثم يقوم بتقديم الأسئلة من خلال ما شرحه، ويجيب عليها في ما بعد، وكأنّ بالشّارح يعمد إلى منهجيّة التّلقين الميسر؛ وكأنّه مع مجموعة مع الطّلاب يقرأ عليهم المتن ثم يقوم بالشّرح، ومن بعده يسأل الطّلاب ثم يجيب وهي طريقة تعليميّة تدخل ضمن آليات النّحو التّعليميّ؛ فنحن عندما نمعن النّظر في المقدّمة نلحظ أنّها ألفت بطريقة مخالفة، ولعلّ هذا راجع إلى الظروف التي عاشها المغاربة، فتآليف كتب النّحو عند المشارقة أبوابها تتسم بكثرة الحشو والتخريجات؛ ممّا تصعب المتعلّم

تعلم القواعد بين عشية وضحاها، هذا الأمر الذي استدعى من ابن آجروم صنع متن نحويّ يسير، يسهل تعلم قواعد اللغة؛ لأنّ تعلم هذه القواعد هو غاية لمعرفة أسرار القرآن الكريم، إضافة إلى تقويم اللسان على طريقة ما تكلّمت به العرب الخلّص.

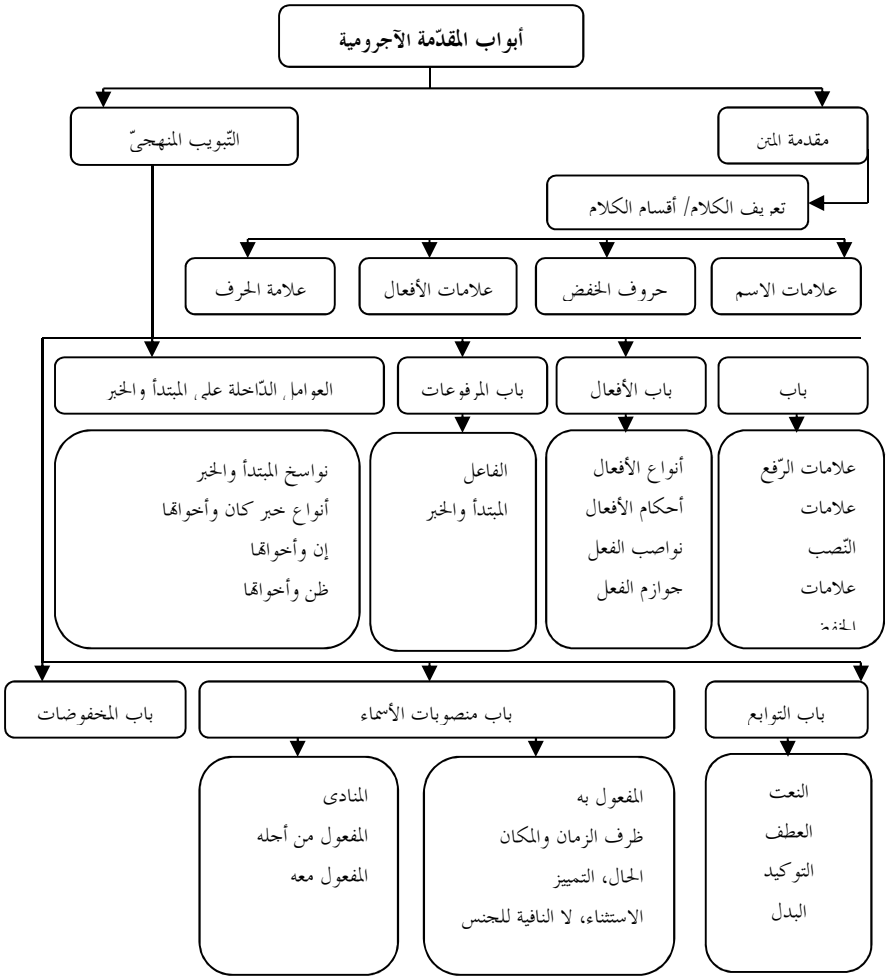

يتّضح من خلال التّرسيمة التّبويب المنهجيّ للمتن، وهو تبويب ييسر طرق تعليم قواعد اللّغة العربيّة وتعلّمها دون عناء وشقاء، والبيّن أنّ ابن آجروم اتبع طريقة سابقيه في حسن استهلال المتن؛ حيث استهله بذكر تعريف الكلّام، وأقسامه وهي منهجيّة المؤلَّفات النّحويّة، وها هنا أشير إلى أنّ ابن آجروم أخذ طريقة التّبويب المعروفة إلاّ أنّه اعتمد في طريقة كتابة المتن على التيسير والتبسيط دون التعمق في تقعيد القاعدة النّحويّة.

والملحوظ كذلك من خلال التّرسيمة ذكر باب الإعراب ومعرفة علامات الإعراب وما يأتي من بعده وهو باب الأفعال وأنواعها والأحكام التي تنضوي تحتها، ثمّ عرج إلى ذكر ما يحوي باب الأفعال وما يقوم عليها وهو الفاعل وأنواعه وأحكامه، وهنا إشارة إلى الجملة الفعلية بتركيبها الأساس. ومن بعد ذلك الإتيان إلى النمط الثاني من الجمل من حيث التّركيبُ وهي الجملة الاسمية بنوعيها:

الجملة الاسمية الأساس: وخصص لها بابًا باسم: باب المبتدأ والخبر، ومن ثَمّ باب (العوامل الداخلة على المبتدأ والخبر) ويقصد الجملة الاسميّة المنسوخة؛ أي التي دخل عليها ناسخ.

وبعد الانتهاء من تركيب الجمل ما بين الاسمية والفعلية، يأتي إلى تقسيم المتن ذكر التوابع الأربعة: النعت، والعطف والتوكيد، والبدل وهي عادة مؤلفات الكتب النحوية القديمة، وإن صحّ القول عادة مؤلفات التأليف المشرقيّ، ويختم متنه يسير في حجمه الثري في محتواه بالمنصوبات والمخفوضات.

إنّ المتمعن في المخطط الذي يوضح منهجية التبويب للمتن يلحظ أنّه يسير في فهمه، بل يعدّ الفاتحة لتعلم قواعد اللغة العربيّة؛ حتى إنّ الذي يقرأ هذا المتن يبقى دائما على شغف لدراسة النّحو والاستزادة من معينه، والتفقه في أحكامه والغور في خلافاته، والغدق من تعليلاته؛ لأنّ مشكلّة تعلم النحو هي بدايته؛ فمن استطاع الكبّ على هذا المتن كان بإمكانه الغور في مطولاته، ولذا من العلماء الذين رأوا أنّ طريقة التعليم لأحكام النّحو وقواعده لا بد أن تكون بالبداءة بكتاب يسير؛ حتى

لا يصيبه الكلّال ولا ينطمس فكره، لا ينصب عقله على تحصيل قواعد العربيّة والعكس من كانت بداءته على متن يسير في لفظه، سهل في منهجه، فلا ريب سيسعى للمزيد، وهذا هو غرض المريد لمن يريد.

6.**المنهجيّة التّعليميّة في المقدّمة الآجروميّة من خلال الجملة الفعليّة:** سأحاول من خلال هذا العنوان أن أبيّن المنهجية التعليمية التيسيريّة لتعليم قواعد اللغة العربيّة، وقد أخذت الجملة الفعلية نموذجا للتطبيق، ولكن قبل ذلك أشير إلى أنّ ابن آجروم في المتن يذكر القاعدة بذكر مثال يسير؛ حتى يسهل على المتعلم تعلم القاعدة بالمثال، والإتيان على مثاله. والآن سأوضح بالقاعدة وشرحها:

– **باب الأفعال:** يقول ابن آجروم: "**الأفعال ثلاثة: ماض، ومضارع وأمر، نحو: ضرب، ويضرب واضرب، فالماضي مفتوح الآخر أبدا، والأمر مجزوم أبدا والمضارع ما كان من إحدى الزوائد الأربع التي يجمعها قولك: أنيت، وهو مرفوع أبدا حتى يدخل عليه ناصب أو جازم**".

هذا النص يبين أقسام الفعل وأحكامه وكيفية معرفته، نص في سطرين ولكن يبسط للمتعلم فهم القاعدة النحوية، والملحوظ في الأمثلة التي قدمها ابن الآجروم تدل على الغرض المرجو، وسأحاول أن ألخص هذا القول في جدول، لكن أشير إلى ابن الآجروم يسر حتى للمعلم طريقة التعليم بحيث يستطيع أن يرسم هذه القاعدة في مخطط يسير:

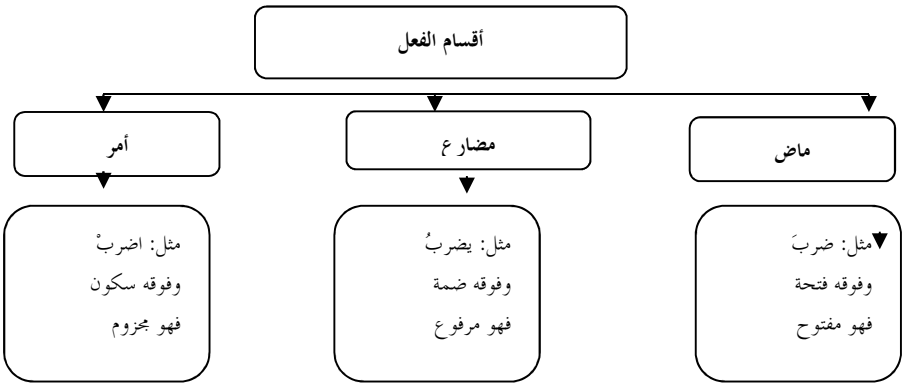

إذن ما ذكره ابن آجروم استطعنا أن نلخصه في هذا المخطّط وهو يوضحّ بأن الفعل الماضي يكون في حرفه الأخير فتحة ويدلّ على فعل فات ومضى والمضارع فوقه ضمّة وأضفنا له الألف أو النون أو التاء أو الياء وليس فيه جازم أو ناصب، أما الأمر فوقه سكون، وعليه فكلّ متعلم يحفظ هذه القواعد مع المثال سيأتي على منوالها دون صعوبة، وإنّما تبقى المنهجيّة الدّقيقة لتعليم ما قصده ابن آجروم.

ونخلص من خلال المخطط أنّ المؤلف أراد أن يوصلنا إلى معرفة قواعد نحوية وهي:

- الفعل ثلاثة أنواع: ماض ومضارع وأمر؛
- فعل الماضي دائما مبني على الفتح، أما الأمر فمبني على السكون؛
- أمّا الفعل المضارع فهو مرفوع شريطة إلا تجد قبله جازما أو ناصبا.

والآن سأبيّن تركيب الجملة الفعليّة التي أشار إليها ابن آجروم؛ حيث ذكر تركيبها في (باب الفاعل)؛ إذ يقول في تعريف الفاعل:"**هو الاسم المرفوع المذكور قبله فعله، وهو على قسمين: ظاهر ومضمر**" الجملة الفعليّة= فعل + فاعل

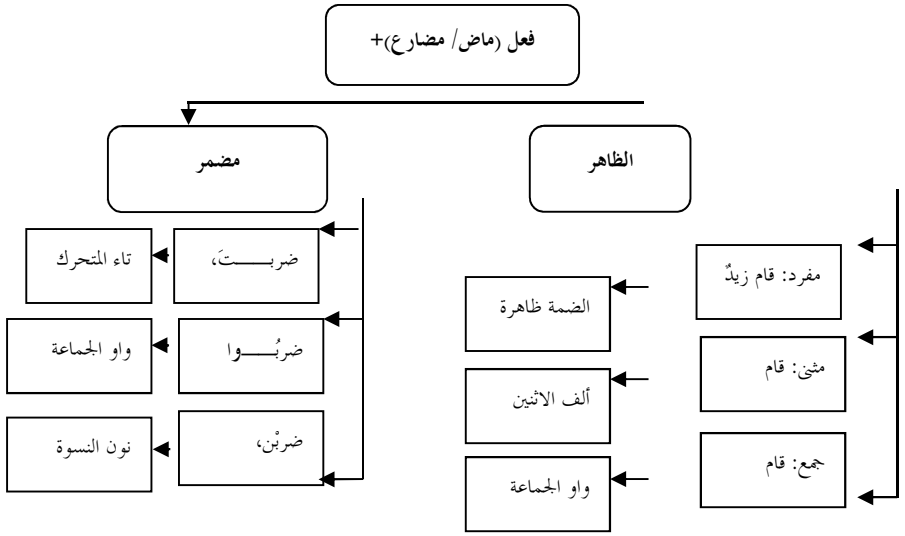

نلحظ من خلال المخطّط أنّ المنهجيّة التي قدّمها ابن آجروم لتعريف الجملة الفعليّة، يقوم على أساس تعريف الفاعل؛ حيث إنّ الفاعل لا بدّ أن يسبق بفعل بمعنى أنّ لكلّ فعل فاعل، شريطة أن يكون هذا الاسم مرفوعاً، وهي طريقة تعليميّة للمبتدئ؛ ثم بيّن أنّ هذا الاسم المرفوع قد يأتي مفردا وجمعا ومثنى دون أن يذكره، ولكنّه اكتفى بذكر المثال، وهي منهجيّة تعليميّة؛ فالمثال يتضح المقال. بحيث إنّ المتعلم يلحظ التغيرات الطارئة على كلّ جملة، وعليه يقوم بشرح المثال وبيان الفرق، ومن ثَمّ استنتاج القاعدة النّحويّة، وهي منهجية لو تتبعها كلّ معلم في تعليم طلاّبه لسهّل عليهم تعلّم قواعد اللّغة العربيّة، وهي طريقة اتبعها نحاة المغرب.

وممّا يتبيّن من قول التّرسيمة هو تبسيط القاعدة النّحويّة بالنسبة للمتعلّم وهي:

- الفاعل لا يكون إلاّ مرفوعا ومعرفا؛
- لكلّ فاعل فعل، ومن ثمّ تركيب الجملة الفعليّة هو: فعل + فاعل؛

- الفاعل يكون مفردًا، وقد يكون مثنى وحينها يكون ألف الاثنين فاعلا، وقد يكون واو الجماعة ويعرب حينئذ فاعلا؛

- يرد الفاعل متصلا بكلّ الضمائر مثل:(ضربْتُ، نا) وحينها الفعل يبنى على السكون كما وضحت في المثال.

ولما أنهى ابن آجروم الحديث عن الفاعل ذكر **(المفعول الذي لم يُسمّ فاعله)** ويقصد به نائب الفاعل فأتى على تعريفه بقوله: "**وهو الاسم المرفوع الذي لم يذكر معه فاعله، فإن كان الفعل ماضياً ضمّ أوله، وكسر ما قبل آخره، وإن كان مضارعاً ضمّ أوّله وفتح ما قبل آخره، وهو على قسمين: ظاهر ومضمر**"

بيّن ابن آجروم طريقة صوغ نائب الفاعل، بطريقة سهلة جدا من خلال صوغ الفعل الماضي والمضارع، وهذا دليل على أنّ نائب الفاعل لا يكون إلا من الفعل المتعدي فقط، والدليل على ذلك؛ أنّه سمّاه: (المفعول الذي لم يسمّ فاعله)، والغرض من هذا تقريب القاعدة للمتعلّم، وعليه نستنتج القاعدة مباشرة:

الفعل المبني للمجهول= فعل متعد + فاعل + مفعول به

نائب الفاعل= فعل مبني للمجهول + نائب فاعل(الذي كان مفعولا به) وعليه نلخص القاعدة:

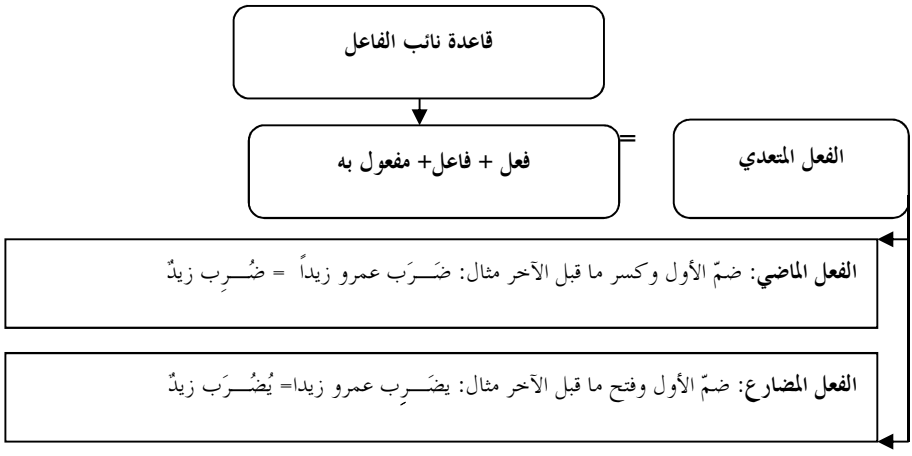

إذن القاعدةُ النّحويّةُ التي أشار إليها ابن آجروم قاعدة بسيطةً تسهّل على المتعلّم فهم اللّغة دون صعوبة؛ حيث بيّن لنا أنّ (نائب الفاعل) مقترن بالفعل الماضي والمضارع فقط، والأمر المستحسن في المتن هو توضيح القاعدة بالمثال، دون الإطالة في الكلّام والشرح الخاصة بنائب الفاعل، ثم وضّح أقسامه من ظاهر ومضمر، شأنه في ذلك شأن الفاعل.

وممّا نخلص إلى أنّ ابن آجروم أراد أن يقدم قواعد تعليميّة يسيرة نذكرها:

- أنّ نائب الفاعل لا يكون إلاّ من الفعل المتعدّي الماضي والمضارع؛

- شرط بناء الفعل الماضي للمجهول هو ضمّ أوّله وكسر ما قبل آخره مثل: (فَتَح) تصبح (فُتِح)؛

- شرط بناء الفعل المضارع المبني للمجهول هو: ضمّ حرف أوّله وفتح ما قبل آخره مثل: (يَضرِب) تصبح (يُضرَب).

أمّا القسم الثالث من تركيب الجملة الفعليّة هو: المفعول به، وعليه ينتج عندنا أنّ أركان الجملة الفعليّة هي: فعل وفاعل ومفعول به. كونه مقترن بالفعل، وقد وضح هذا ابن آجروم في باب المنصوبات.

يقول ابن آجروم في (باب المنصوبات):"**المنصوبات خمسة عشر وهي: المفعول به ...**" ثم أتى من بعد ذلك إلى ذكر (باب المفعول به) قائلا:" **وهو الاسم المنصوب الذي يقع به الفعل نحو قولك: ضربت زيدا، وركبت الفرس، وهو قسمان: ظاهر ومضمر... والمضمر قسمان: متصل ومنفصل**"

إنّ القاعدة التي قدّمها ابن آجروم في باب المفعول به قاعدة تتناسب وعقل المبتدئ؛ إذ أنّه وضح حكمه وهو النصب؛ حتى يفرق بينه وبين الفاعل المرفوع؛ لأنّها اسمان جميعا، ولكن الحركة تفرق بينها.

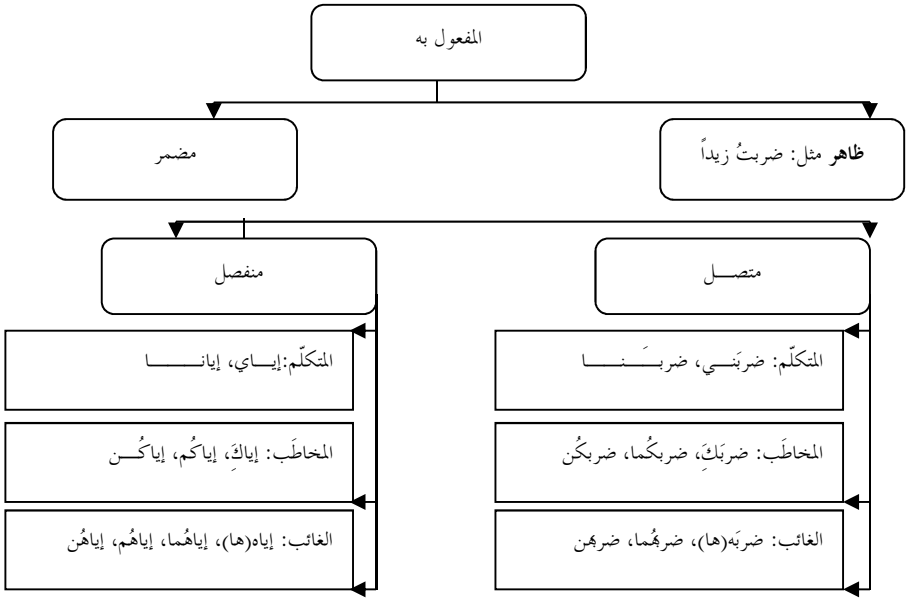

يوضح المخطط المنهجيّة التّعليميّة لقواعد اللّغة العربيّة، من باب المفعول به، وهي منهجيّة يسيرة توضح القاعدة دون عناء أو صعوبة؛ حيث إنّ التّرسيمة تبيّن مواضع المفعول به من خلال أقسامه، فالقاعدة المستنبطة من المخطط هي:

- كلّ فعل اتّصلت به (الهاء/ الكاف) نعربه مفعولاً به؛
- المفعول به في الضّمائر المنفصلة يقابلها في الضّمائر المنفصلة، وعليه كلّ ضمير منفصل نعربه مفعولا به، والضّمائر المتّصلة تعرب مضافا إليه؛
- كلّ فعلٍ بعده اسم منصوب بمعنى أنّه ظاهرٌ، ندخل عليه السّؤال (ماذا) مثل: ضربتُ زيداً، فنقول: ماذا ضربت؟ فيكون الجوابُ: زيداً، إذن (زيد) يعرب مفعولا به.

وعليه نخلص إلى أنّ الأمثلة التي يقدمها ابن آجروم هي قاعدة تعليمية غرضها الأساس تعليم الناشئة هذه القواعد دون إشكال، ولكن أشير إلى أنّ المتن الذي قدّمه

ابن آجروم لا بد أن يقدّم بمنهجيّة يسيرة دون التوغّل في التّعليلات والخلافات النّحوية؛ فمنهجيّة المعلّم لا بد أن تكون بحسب المتن دون الخروج عما قصده المؤلِّف.

الخاتمة: تضمّن هذا المقالُ جانباً أساساً في تعليم اللّغة العربيّة وهو (النّحوُ التّعليميّ من خلال المقدّمة الآجروميّة لابن آجروم)؛ حيث اختبرت دراسةً في الجملة الفعليّة من خلال متنه الصّغير في صفحاته، الكبير في فحواه ومحتواه، إذ بيّنت فيه مكانة المغاربة ودورهم في تعليم علوم اللّغة العربيّة عموما، والنّحو خاصّة؛ كون علم النّحو من العلوم التي كثرت تآليفه، وتنوعت شروحاته بداءة من سيبويه، سواء تعلق الأمر بالنّحو المشرقيّ أم النّحو المغربيّ، ولكن شاء القدر أن يلد مغربيّاً بذكائه، وقوة عقله، وهو ابن آجروم وألّف متنه سماه:(المقدمة الآجروميّة)، كي يقرب المنهجيّة التّعليميّة لقواعد اللغة العربيّة ومن خلال هذه الدّراسة بصرت النّتائج الآتية:

- المقدّمةُ الآجروميّةُ من المتونِ النّحويّةِ التي تعملُ على تيسيرِ قواعدِ اللّغةِ العربيّة؛
- منهجُ ابن آجروم في متنه منهجٌ تعليميٌّ للقاعدةِ النّحويّة؛
- متن ابن آجروم يعتمد على الأمثلة اليسيرة دون الإطالة في الشرح؛
- قلّة الحشو في المتن، وهذا يسهل عملية الحفظ والفهم واستيعاب القاعدة النّحويّة؛
- المقدّمة الآجرومية رفعت من مكانة النحو المغربيّ وأذاعت صيته؛
- تعدّ منهجاً من مناهج تعليم قواعد اللّغة العربيّة؛ لذا العمدة في النّحو التعليميّ؛
- حسن التنسيق في الأبواب النحويّة بداءة من الكلّام إلى آخر باب وهو المحفوظات.

الهوامـــــش

[1] – ابن السّراج، الأصول في النّحو العربيّ، تح: عبد الحسين فتلي، ط3. بيروت: 1988، ج1، ص35.

[2] – ابن جنّي، الخصائص، تح: عبد الحميد الهنداوي، ط1. بيروت: 2001، ج1، ص88.

[3] – الشّريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ط1. مصر: 1306، المطبعة الخيريّة، ص105.

[4] – ابن فارس، مقاييس اللّغة. د/ط، د/ت: مادة (ملك). ج5، ص ص351–352.

[5] – أحمد، بن حنبل، قصد السبيل في الجمع بين الزّاد والدّليل، ط1. 2001، المملكـــة العربيّـــة السّعوديّة: دار العاصمة، ج2، ص422.

[6] – خلف الأحمر، مقدّمة في النّحو، تح: عزالدين التّنوخي، د/ط. 1961، دمشق: مديرية إحيـــاء التّراث، ص33، 34.

[7] – الجاحظ، مجموعة رسائل الجاحظ، تح: هارون عبد السّلام، 1979، د/ط. القـــاهرة: مكتبـــة الخانجي، ج3، ص38

[8] – عبد الرحمن، ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ط1. 2005، القاهرة: دار ابن الهيثم، ص468.